اجتهادات
رحلات إلى فلسطين

يعتمد من يقولون إن الكيان المُسمى إسرائيل ليس له أصل ولا أساس على رواياتٍ تاريخية مُوثَّقة تُثبت وجود فلسطين وأهلها الذين عاشوا فيها جيلا بعد جيل على مدى قرون طويلة0 كما يستندون إلى أسانيد قانونية قوية، وليس على تفسيرات دينية ممزوجة بخرافات. وهذا هو الفرق بين التاريخ حين لا يُزيف، والقانون عندما يكون سيدًا وبين السياسة المستندة إلى القوة الغاشمة والكذب والتضليل والقهر والإرغام. وتُعد الكتب التى ألَّفها من زاروا فلسطين فى مراحل متعددة من التاريخ أحد مصادر الروايات التى تُدعم السردية الفلسطينية وتُبطل المزاعم الصهيونية. عدد هائل من الكتب يحتاج حصرها إلى بحث طويل وجهد كبير. كتبُ ألَّفها رحالة وزوَّار من أجناس الأرض كلها تقريبًا فى مغاربها ومشارقها. نختار اليوم اثنين منها، أحدهما لكاتبٍ يابانى والثانى لروائى يونانى. نشر توكوتومى

كينجيرو كتابه »الرحلة اليابانية إلى فلسطين ومصر«، فى جزءين عن رحلتين مع زوجته عامى 1906 و1919. والكتاب حافلُ بإشاراتٍ إلى ما هو معروف عن أن عدد اليهود كان ضئيلا للغاية حينها، وأن أهل البلد الفلسطينيين استقبلوهم بحفاوة وأكرموهم وساعدوهم باعتبارهم مضطهدين فى بلادهم الأوروبية. وبعد أعوام قليلة ألَّف نيكوس كازانتزاكيس كتابه «ترحال» الذى يتضمن قسمًا كبيرًا عن رحلته إلى فلسطين فى 1926-1927 لتغطية الاحتفال بعيد الفصح المسيحى. وواضح فى كتابه أنه مسيحى مؤمن بالعهدين القديم والجديد، إذ استند إليهما عندما ناقش ادعاءات الحركة الصهيونية الناشئة حينذاك والتى دعمَّها وعد بلفور، واستنتج أنها ستنتهى نهاية مأساوية رهيبة. ولكن ما أبعد الليلة عن البارحة. فبعد نحو قرن تقريبًا نشر الفرنسى إيريك هازان عام 2008 كتابه «رحلة إلى فلسطين». ويالهول الفرق. فبعد أن كان الفلسطينيون أسيادًا فى وطنهم، متفائلين بمستقبلهم يعملون ويعمرون، وجدهم هازان ـ كما هو معروف ـ خاضعين لاحتلالٍ بشع، ومحشورين

بين قواته وآلته العسكرية الضخمة ومستوطنيه المتوحشين، ومضطهدين طول الوقت بين حصار وقصف وقمع واستيلاء مستمر على أراضيهم وبيوتهم.ولكن سيأتى يوم يكتب رحاَّلة آخرون عن رحلاتهم إلى فلسطين المُحرَّرة المستقلة وقد عادت أرضًا للسلام والمحبة.